بحوث ودراسات

لعلماء الأنثروبولوجيا تاريخ معقد في دراسة الأوبئة ومكافحتها. إذ مثل نقشي الأمراض تلك العقبة والأداة الخطرة للتوسع والتوطن الاستعماري، وعلى حد قول الأنثروبولوجي دايفيد ارنولد (David Arnold) في كتابه (حالة الطب والأمراض الوبائية في القرن التاسع عشر) أن هذا السياق قد خلق ذلك المبرر لسياسات الفصل وإعادة التوطين والحجر الصحي ومراقبة السكان، إذ خص كتابه للتحليل المبتكر للطب والمرض في الهند الاستعمارية، يستكشف الدور الحيوي للدولة في الأنشطة الطبية وأنشطة الصحة العامة، مجادلًا بأن الطب الغربي أصبح ساحة معركة حاسمة بين المستعمرين والمستعمرين - مرض الجدري والكوليرا والطاعون - وغايته تحليل تأثير التدخل الطبي في حياة الشعوب، ويوضح أن الطب الغربي كما يُمارس في الهند لم يتم نقله ببساطة من الغرب إلى الشرق، ولكن تم تصميمه أيضًا استجابة للاحتياجات المحلية والظروف الهندية. من خلال التأكيد على هذا البعد الاستعماري للطب، كما سلط الضوء على مركزية الجسد للسلطة السياسية في الهند البريطانية ويوضح كيف أثر الطب وعبر عن التناقضات الجوهرية للحكم الاستعماري¹. ونشر فيما بعد الأنثروبولوجي اردن هوب (A. Hoppe) كتاب (لوردات السدل: مكافحة مرض النوم في شرق إفريقيا البريطانية)² الذي شرح عمليات معالجة ذبابة الد (تسي تسي) المسببة لهذا النوع من الوباء، وقارن المؤلف بدقة بين الاستراتيجيات المختلفة بوضوح لمكافحة داء المتقيبات في إفريقيا البريطانية والفرنسية. في حين اعتمدت الأولى (بريطانيا) على التدخلات البيئية التي تهدف إلى تدمير الذباب وموائلها وتقليل الاتصال بين الذباب البشري، ركز الأخير (فرنسا) على المراقبة والفحص والتشخيص والعلاج. ومن جهة أخرى عدت الأوبئة أيضًا محركًا للاكتشاف العلمي والابتكار؛ التطورات الرئيسية في علم الجراثيم والطفيليات - على سبيل المثال، تحديد البعوض كناقل للأمراض وترسيخ النظرية الجرثومية للمرض - التي تم تطويرها من فرص البحث التي أتاحتها المشروع الاستعماري³.

¹Arnold, David *Colonizing the Body: State Medicine and Epidemic Disease in Nineteenth-Century India* (Berkeley, CA: The University of California Press, 1993).

² Hoppe, Kirk Arden *Lords of the Fly: Sleeping Sickness Control in British East Africa, 1900-1960* (Santa Barbara: Greenwood Publishing Group, 2003).

³ Anderson, Warwick *Colonial Pathologies: American Tropical Medicine, Race, and Hygiene in the Philippines* (Durham, NC: Duke University Press, 2006).

وعلى وفق رأي الانثروبولوجي كريستورس لاينتيرس في بحثه (الأوبئة كأحداث وأزمات: مقارنة فاشيات الطاعون في منشوريا)⁴ انه تم التوجيه الى التقاليد والطقوس وسبل العيش والأماكن المحلية على أنها خزانات (مستودعات) مسببة للأمراض وكمصادر علمية للطب الاستوائي. موضحا ان الأنثروبولوجيا، منذ العشرينات من القرن العشرين قد حددت التزامها المنهجي بالعمل الميداني الطويل والإقامة المباشرة، وأن تجعل هذه المجالات من المعرفة والممارسة "البدائية" مرئية لأغراض البحث الاكاديمي العلمي، وعدها جانبا من مجالها التخصصي المعرفي وضمن ومنهجيتها التكاملية، كما هو الحال في كتاب ليان شوماخر عن الأنثروبولوجيا الإفريقية: العمل الميداني والشبكات وصنع المعرفة الثقافية في وسط إفريقيا⁵، وكتاب هيلين تيلي عن أفريقيا بوصفها مختبر حي: الإمبراطورية، والتنمية، ومشكلة المعرفة العلمية⁶. وفي نهاية كتاب "العقلية البدائية" (١٩٢٢)، وهو كتاب قرأه الضباط الاستعماريون والنفاد الأدبيون على نطاق واسع، أظهر ليفي برول أن التطعيم الجماعي قد يفشل إذا لم يتم النظر في المفاهيم المحلية للأوبئة - وهو درس استخلصه من زيارته للفلبين باعتباره دارساً خبير في الحكومة الاستعمارية الأمريكية في عام ١٩٢٠. كان ضعف السكان الخاضعين للمرض والمرضى مجالاً رئيسياً للنقد حتى عند تقديم خطاب حول القيمة الحضارية للاحتلال الاستعماري.

⁴ Lynteris, Christos 'Epidemics as events and as crises: Comparing two plague outbreaks in Manchuria (1910–11 and 1920–21)', *The Cambridge Journal of Anthropology* 32 (1) (Spring 2014), 62–76.

⁵ Schumaker, Lyn *Africanizing Anthropology: Fieldwork, Networks and the Making of Cultural Knowledge in Central Africa* (Durham, NC: Duke University Press, 2001).

⁶ Tilley, Helen *Africa as a Living Laboratory: Empire, Development, and the Problem of Scientific Knowledge, 1870–1950* (Chicago, IL: The University of Chicago Press, 2011).